

المبحث الأول النهوض بالوطن

أولى الشاعر إبراهيم خليل علاف مسألة النهوض بالوطن اهتماماً كبيراً يتناسب مع المكانة السامية التي يتبوأها في وجدانه. ولعلنا لا نجانب الصواب إذا ما قلنا: إنه من أكثر الشعراء السعوديين دعوة إلى النهوض بالوطن وتقدمه ورقيه. وقصائده الكثيرة التي حوتها مجموعته الكاملة، والتي تدور حول هذا الجانب تفصح عن ذلك وتؤكد. فهو كثير الحث على النهوض بالوطن في كل الميادين والمجالات، يدفعه إلى ذلك حبٌ عميق، وشوق جارف إلى رؤيته وقد هبَّ من سباته، وتحرر من قيود الجهل التي ظل يرسف فيها زمناً، وشرع يغذ الخطى صوب المجد، وصولاً إلى المكانة الرفيعة التي تليق به، باعتباره مهد الإسلام، ومشرق أنواره الساطعة، ومهوى أفئدة المسلمين في كل زمان ومكان.

وفي قصيدته (وطني) تطالعنا تلك الرغبة المشتعلة في وجدانه، وذلك التوق لرؤية وطنه وقد عمته النهضة، وشاعت فيه مظاهر التقدم والرخاء. حيث يقول⁽¹³⁾:

وطني العريقُ متى أراك مُجَلِّياً

للدِّينِ والدُّنيا عليك جَلالُ



أَتَرَى أَعْمَرُكِي أَلَذَّ بِنَهْضَةٍ
مَبْثُوثَةٍ بِفُرُوعِهَا الْآمَالُ
يَا غَيْبُ بَشِّرْنِي بِرَبِّكَ عَنْ غَدٍ
إِنَّ الْفُؤَادَ يَأْوُدُهُ الْإِمَّهَالُ
فَامْشِ الْعُجَيْلَى يَازْمَانُ فَإِنِّي
صَبُّ الْعَيَانِ وَمَا لَدَيَّ خَيَالُ

وواضح من هذه الأبيات مدى حرص العلاف على نهضة وطنه وتقدمه، واستعجاله تحقق ذلك؛ حتى تكتحل عيناه برؤية أحلامه وأمانيه وقد أصبحت واقعاً ملموساً، يدخل البهجة إلى فؤاده الذي أرهقه الانتظار.

ونظراً لاستحالة تحقيق الأماني والأحلام -مهما كانت- دون بذل أي جهد يذكر، والنهوض والتقدم الذي تتشوق إليه الأحداق دون أسس ودعائم قوية، وخطط تنموية طموحة، تتبعها جهود حثيثة وسعي دؤوب يكفل تحقيق ذلك كله ؛ وجدنا العلاف يلفت الانتباه إلى الأسس والدعائم التي سيقوم على إثرها الوطن وينهض، ويوجه القائمين على وطنه والمنتمين إليه إلى ضرورة تحقيقها مجتمعة، لأنها - في نظره - قادرة على الوصول بالوطن إلى ما يصبو إليه من أمانٍ وأحلام.

وللوقوف على الرؤى والأفكار التي طرحها العلاف في شعره

للنهوض بوطنه، وأخذ مكانه الطبيعي بين سائر الأوطان، رأينا تناولها مرتبه حسب أهميتها:

1- الدعوة إلى نشر العلم والحث عليه

يعد العلم أبرز سمات العصر الذي نعيش فيه، (فكل ما نشهده من جديد في العالم، وما نعجب به من طريف في هذه الحياة، وما نسمع به من خير أو نصطلي به من شر إنما مرده إلى العلم، ومرجه إلى الثقافة)⁽¹⁴⁾.

وقد أدرك العلاف هذه الحقيقة، بعد أن ذاق حلاوة العلم والتعليم، ووقف على الاختراعات والإنجازات التي حققها إنسان هذا العصر بفضلها. فأنشأ بحث على نشره على أوسع نطاق، وإتاحته لكل أبناء الوطن، وعدم قصره على فئة دون أخرى، ويدعو إلى تشييد المدارس المهيأة لتلقيه. ولم يتوقف عند هذا الحد في دعوته إلى نشر العلم وإنما تجاوزها إلى المناهج الدراسية، حيث دعا إلى ضرورة تحديثها وتطويرها ؛ حتى تلائم روح العصر ومتطلباته.

يقول في قصيدته (يد الإصلاح) التي ألقاها بين يدي الأمير فهد بن عبد العزيز بعد توليه منصب وزير المعارف⁽¹⁵⁾:

هذي الكتابيُّ قد أدَّتْ رسالتُها
وفاتَ عهدٌ لها كانت تُناغيه

يَشْكُو الصِّغَارُ إِلَيْكُمْ سُوءَ حَاضِرِهِمْ
 فِيهَا وَأَضْرَارَهَا فِي كُلِّ تَوَجِيهِ
 أَوَّلِ الرِّعْيَةِ بِالْإِشْفَاقِ لَيْسَ لَهُمْ
 مِنْ عَجْزِهِمْ حِيلَةٌ إِلَّا تَنَاسِيهِ
 وَلِلْمَنَاهِجِ فَوْضَى لَا تَبُوحُ بِهَا
 لِفَيْرِكُمْ تَتَحَدَّى أَيَّ تَنْزِيهِ
 شَطَطَتْ عَنِ الْغَايَةِ الْقُصُوى وَطَاشَ بِهَا
 عَقْلُ الشَّبَابِ وَأَبْلَى فِي تَلْوِيهِ

ويدعو إلى الاهتمام بتعليم من فاتهم الالتحاق بركب العلم والنهل من ينابيعه في الصغر، وضم بعض المؤسسات الأهلية التي أنشئت لتحقيق تلك الغاية إلى وزارة المعارف، ومدها بكل ما يساعدها على أداء رسالتها، وتشيد السكن لطالبي العلم في المدن الكبرى من أبناء القرى والبادي التي لم تصلها أنوار العلم بعد (16):

وَشِدَّ بِفَضْلِكَ لِلطُّلَابِ أَبْنِيَّةً
 تُؤَيِّ الْغَرِيبَ وَمَنْ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ
 وَاشْمَلُ بِعَطْفِكَ وَاسْتَصْلِحْ (مُؤَسَّسَةً
 شَعْبِيَّةً) جَهْدَهَا فِي الْبَعْثِ تُعْطِيهِ
 ضَمَّتْ شَبَاباً أَرَادَ الْعَيْشَ طَلَبَتْهُمْ
 مِنَ الدِّرَاسَةِ قَسِراً فِي دَوَاعِيهِ

كَمْ بَيْنَهُمْ مَنْ ذَكَىَّ الْفَهْمُ ذِي هِبَةٍ
وَقُدْرَةٍ تَتَجَلَّى فِي أَيَادِيهِ

وإيماننا من العلاف بضرورة الاستفادة من تجارب وخبرات الأمم التي سبقتنا في طريق العلم والتقدم والنهوض، وجدناه يدعو إلى إدخال اللغة الأجنبية في المناهج الدراسية لطلاب المراحل المتقدمة، بوصفها لغة العلم والحضارة في العصر الحديث (17):

وَاللُّغَاتِ لَدِينَا نَظَرَةٌ شَحُبَتْ
وَمَا لِأَضْيَافِهَا بَيْتٌ تُؤَلِّيهِ

ولما كان النهوض بالوطن هو الغاية التي يطمح إليها الجميع - حكومة وشعباً - فقد رأى العلاف ضرورة منح المرأة في وطنه حقها في التعليم وفق الضوابط الشرعية، لأن المرأة نصف المجتمع، وعليها يعول في إعداد الأجيال إعداداً سليماً، والمرأة الجاهلة - كما يرى - لا تحسن صنع الرجال (18):

وَاللَّفَتَاةِ رَجَاءً لَوْلَا الْحِجَابُ لَمَا
وَقَفْتُ عَنْهَا لَدَيْكَ الْآنَ أَبْدِيهِ
الْعِلْمُ فِي شَرَعِ الْإِسْلَامِ مُشْتَرَكٌ
مَا كَانَ وَقَفَاءً عَلَى بَعْضٍ فَيَحْوِيهِ
وَأَفْضَلُ الْعِلْمِ مَا يَرْعِي أَنْوَلَّتْهَا
حَذَارٍ أَنْ تُبْتَلَى فِيهَا بِتَشْوِيهِ



والأمَّهاتُ إذا ما كُنَّ في سَفَهٍ
فاحْكُمْ على الجيلِ أنَّ النَّقْصَ حاديه

ولم يغفل العلاف عن دعوة أبناء الوطن - لاسيما النشء - إلى
الالتحاق بركب العلم، والنهل من ينابيعه الثرة الصافية، وجعله -
بفروعه المختلفة - شغلهم الشاغل ؛ لأنه غذاء الروح، وخير معين
لهم على تحقيق آمالهم وطموحاتهم في الحياة (19) :

أَسِفْتُ لِمَن يَحْيَا وليس يَهْمُهُ
سوى بَهْرَجٍ من عيشه يَتَحَوَّلُ
يَعِيشُ حَيَاةً بالحوائجِ ثَرَةً
ولكنَّ حَقَّ الرُّوحِ فيها مُعْطَلُ
يَقِيسُ بمِيزَانِ السَّوَادِ أُمُورَهُ
وَيَقْنَعُ بالتَّقْلِيدِ لَا يَتَمَلَّمُ
هَبَاءَ حَيَاةِ المرءِ دونَ تزودٍ
من العِلْمِ يُفْضِي بالرُّقِيِّ وَيَصْقُلُ

ويحفز الآباء إلى المسارعة في تسجيل أبنائهم في المدارس
التي أخذت في الانتشار، عن طريق تقديمه للفوائد التي سيجنيها
أطفالهم من وراء طلبهم العلم والتحاقهم بدوره (20) :

هو الشَّجَاعَةُ للأطفالِ تَحْفُزُهُم
إلى الحَرَكَاتِ وَلِعبٍ باتَ يَنْتَظِرُ

هو الرِّبْعُ لإحساسٍ وَتَبَصِيرَةٍ
أما الضُّحَى فحياةٌ خَافَهَا الضَّجَرُ
يَسْرِي إِلَى الْكَوْنِ فِي عُمُقٍ وَفِي سَعَةٍ
مُزَاجِجاً فَإِذَا الطَّاقَاتُ تَنْتَشِرُ
ما أروع النَّشْءَ فِي إِقْبَالِهِ نَشِطاً
إِلَى الْمَدَارِسِ وَالْأَفْكَارِ تَنْصَهَرُ
إِنْ كَانَ لِلَّيْلِ مِنْ حُسْنٍ فِي سَمَرٍ
الليْلُ أُنْثَى، وَأَمَّا الْعَكْسُ فَالذِّكْرُ

وعندما وقف شباب الوطن على أهمية العلم في زمن لم يعد
يعتد بالجاهل - أيأ كان - وشرعوا يغذون الخطى للالتحاق بركبه
البهي - داخل الوطن وخارجه - أخذ يعلن عن سروره - ويبيدي
فرحته بتوافدهم على دور العلم زرافات ووحدانا، وبطموحهم المتقد
الذي سيبلغهم ووطنهم المكانة العالية التي تتطلع إليها أحداق كل
محِب لهذا الوطن⁽²¹⁾:

عِلَامَ نَسِيمِ الشَّرْقِ نَشْوَانٌ يَلْعَبُ
أَعَنْ نَبَأٍ يَخْتَالُ فِيهِ وَيَطْرَبُ
أَحْسُ خِيَالَ الصَّحْبِ يَمَلَأُ نَاضِرِي
وَيَطْرُقُ سَمْعِي خَطْوُهُ الْمُتَوَتَّبُ
يُشَا غُلْنِي فِي طَيْفِهِ كُلُّ أَرْوَعٍ
تَمَثَّلُهُ الذِّكْرَى إِلَى فَاعْجَبُ



أتو مثلما تبدو النُّجُومُ عَشِيَّةً
فَمِنْ كَوْكَبٍ يَتْلُوهُ آخِرُ كَوْكَبٍ
إلى أن تنهى عَدُّهُمْ فَتَلَأَلَتْ
سَمَاءُ الْعُلَى واهتزَّ لِلْعِلْمِ مَنَكِبُ
وَبُشِّرَتْ الْأَمَالُ حِينَ سَعَوْا لَهَا
عَذَارَى يَكُلُّ الْعِزْمُ عَنْهَا وَيَنْضَبُ

2- الدعوة إلى إنشاء المشاريع الإنمائية

لم يغفل العلاف وهو يدعو إلى نشر العلم في وطنه، بوصفه الدعامة الأساس للنهوض بالوطن؛ عن دعوة أخرى لا تقل أهمية عن العلم، وإنما تقف معه جنباً إلى جنب في تحقيق آمال وطموحات الوطن والمنتمين إليه. وقد تمثلت تلك الدعوة في حثه على إقامة العديد من المشاريع التنموية، كإنشاء المصانع، و الاهتمام بالزراعة، وتشبيد السدود، وتعبيد الطرق وكل ما من شأنه تحقيق التقدم والتطور والرفي المنشود.

والذي شجع العلاف على هذه الدعوة وإلحاحه فيها، معرفته بالكنوز والخيرات الوفيرة التي تكتنزها أراضي وطنه، وقدرتها على تحقيق كل ما يطمح إليه، إن هي استثمرت ووظفت عائداتها للنهوض بالوطن والمواطنين.

والعلاف في كثير من شعره الذي دار حول هذا الجانب لا

يباشر الدعوة، وإنما يكتفي بإشعال طائفة من الأسئلة، أضرمتها في وجدانه غفلة أبناء وطنه وقعودهم عن استثمار الخيرات الوفيرة التي تنعم بها أراضيهم.

وهو من خلال تلك الأسئلة يسعى إلى بث الوعي لدى أبناء وطنه بأهمية تلك المشاريع التنموية -إن هي أقيمت- في تحقيق التقدم والتطور المأمول، ويحفز القادرين منهم مادياً على استثمار أموالهم في هذه المجالات، والمشاركة الفاعلة في نهضة الوطن.

ومن ذلك ما جاء في قوله (22):

وَيَحْ نَفْسِي مَتَى أَرَاهَا تَزَيَّتْ
بَاكْتِفَاءٍ يَحْفُهُ التَّصْدِيرُ
وَاسْتِحَالِ الْفَرَاغِ مِنْهَا امْتِلَاءُ
وَكَسَاهَا بِحُسْنِهِ التَّعْمِيرُ
وَاسْتِقَامَتِ مَسَالِكِ وَمُرُورُ
وَتَرَامَى بِظِلِّهِ التَّشْجِيرُ
وَعْدَا الْقَفَرُ مُشْبَعاً بِاخْضِرَارِ
خَالَفَ بَعْضُهُ رَوَاهُ النَّمِيرُ
وَالْمَوَاشِي تَزِينُهُ مُطْلَقَاتُ
فِي مِرَاعٍ مَتَاعُهَا إِكْسِيرُ (23)
وَجِبَالُ السَّرَاةِ تَبَرُّ وَزِنُكَ
وَحَدِيدُ يَشُوبُهُ الْقِصْدِيرُ

وكنوزٌ خَفِيَّةٌ حَضَنْتَهَا

باعْتَزَّازٍ مَصَانِعٍ لَا تَبُورُ

تَوَجَّهَتْهَا مَصَائِفٌ وَرِياضٌ

تَتَفَنَّى عَلَى رُؤَاهَا الطُّيُورُ

ويتساءل في نص آخر عن المسافة الزمنية التي ستستغرقها رحلتنا صوب التقدم والرقي المنشود، ونحن في غفلة عن الكنوز التي تنعم بها أراضينا، وتنتظر بعثتها من سكونها الذي طال، عن طريق إنشاء المصانع، وتشديد السدود لحفظ مياه الأمطار، والاستفادة منها في زراعة المساحات الشاسعة من الأراضي الخصبة⁽²⁴⁾:

مَتَى الْوَعْيُ يَطْفَى وَالرُّكُودُ يُفَادِرُ

مَتَى الْمَجْدُ يَدْنُو وَالْقُوَى تَتَضَافَرُ

أَسِفْتُ لِطَاقَاتٍ تَبَدَّدَ شَمْلُهَا

بِعَرَضِ الْفِيَا فِي لَمْ تُفِدْهَا الْبَصَائِرُ

تَبَادَلَتْ الدُّنْيَا تَجَارِبَ نُجْجِهَا

وَطَوَّرَهَا بَحْثٌ وَعِلْمٌ مُؤَاوِرُ

وَصَالَتْ صِنَاعَاتٌ وَأُرْبَتْ زِرَاعَةٌ

بِهَا أُمَمٌ عَزَّتْ وَهَبَّتْ تُتَاجِرُ

إِذَا جَازَ فِي مَاضِي الْحَيَاةِ تَهَاوُنٌ

وَدُلِّلَ طَبْعٌ بِالصَّنَاعَةِ سَاخِرُ

وَأَضْحَى عَلَى الْأَمْطَارِ جُلُّ اعْتِمَادِنَا
وَضَيَّعْنَا زُهْدَ عَقِيمٍ مُكَابِرٍ
فَإِنَّ حَيَاةَ الْيَوْمِ تَأْبَى تَقَاعُسًا
وَيَنْعَمُ بِالْحُسْنَى الطَّمُوحُ الْمُثَابِرُ

وواضح من هذه الأبيات مدى حزن الشاعر العميق من تفريط أبناء وطنه في الخيرات الوفيرة التي تموج بها أراضيتهم. وركونهم إلى الخمول والكسل، واعتمادهم على غيرهم في كل ما يحتاجون إليه، واستسلامهم لبعض العادات القبلية الموروثة، التي تنتكر للعمل اليدوي، وتراه عيباً مشيناً⁽²⁵⁾

وحتى لا تتسع المسافة الزمنية تلك، وتظل بعض العادات القبلية البالية حجر عثرة في طريق التقدم والتطور الذي تشرئب له الأعناق؛ نجده يتوجه إلى أبناء وطنه - حكومة وشعباً - لافتاً أنظارهم إلى الخيرات الوفيرة التي تنعم بها أراضيتهم، وإسهامها الفاعل في بقاع أخرى من العالم في نهضة ورقي شعوبها. وهو بذلك التوجيه يحاول بث الوعي لديهم بأهمية الصناعة والزراعة في تحقيق الآمال والطموحات التي يتطلع إليها إنسان هذا الوطن، ويهيب بالقادرين منهم مادياً على استثمار أموالهم في هذين المجالين، والمشاركة الفاعلة في دفع عجلة التنمية قدماً، وتقليص المسافة التي تفصلنا عن الغاية التي نشدها⁽²⁶⁾؛



فِيمَ الْبَقَاءِ عَلَى الرُّكُودِ نُطِيقُهُ
وَالْأَمَ عَيْشُ الْخَامِلِينَ إِلَّا مَا؟
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى النُّهُوضِ وَشَانُنَا
حَجَزُ النُّقُودِ نَرْصُهَا أَكْوَامًا؟
أَوْ كَيْفَ يُرْجَى أَنْ يَعِيشَ مُعَزَّزًا
مَنْ لَيْسَ يَرْفَعُ لِلْمَصَانِعِ هَامًا؟
مَا بَزَنَّا الْغَرْبُ الْفَتِي بِبَاسِهِ
لَوْلَا الصَّنَاعَةُ لَمْ يَكُنْ مِقْدَامًا
رَوَّادُهُ قُدْرَاؤُهُ وَرُعَاتُهُ
لَمْ يُرْهِقِ الرُّؤْسَاءَ وَالْحُكَّامَا
فَمَتَى يُسَلَّمُ بِالْحَقِيقَةِ ذَاهِلُ
مُتَمَكِّنٌ يُزْجِي الْبِلَادَ أَمَامَا (27)

والعلاف في هذه الأبيات وسابقتها يحث على الاهتمام بالصناعة والزراعة، نظراً لتوافر المواد الخام التي تقوم على إثرها الصناعة وتنشط، وصلاحية معظم الأراضي في وطنه للزراعة. لأن في الاهتمام بهذين المجالين خير للوطن والذين ينتمون إليه. فعائد الصناعات - بأنواعها المختلفة - يوجه لإنشاء المشاريع التنموية والمرافق الخدمية التي يحتاج إليها المواطن ويطمح، وبها ينهض الوطن ويصبح في مصاف الدول المتقدمة. كما أن الزراعة من شأنها سد احتياج أبناء الوطن من الأشياء الضرورية التي تكلف

المجتمع - حكومة وشعباً - الكثير من الأموال في سبيل توفيرها، ويمكن الاستفادة من الفائض في تصديره وجني الأموال من ورائه. وبالإضافة إلى ذلك كله ستتوافر فرص عمل للشباب، وبذلك يكون الوطن قد خطا خطوات واسعة في طريق التقدم والنهوض، وحافظ على المنتمين إليه من داء البطالة وما قد يجره من عواقب وخيمة في ظل شح الفرص الوظيفية. ولذلك نجده يلح على الاهتمام بهذين المجالين، ويبين فائدتهما العظيمة⁽²⁸⁾:

أَحْيِ الزَّرَاعَةَ وَالصَّنَاعَةَ
وَاحْفَظْ لِحَضْنِهِمَا الْجَمَاعَةَ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ كُلَّيْهِمَا
قَيْدُ الْبَطَالَةِ وَالْمَجَاعَةِ

ولم يغفل العلاف في دعوته إلى إنشاء المشاريع الإنمائية عن لفت انتباه المسؤولين إلى ضرورة استحداث وزارات تتولى التخطيط والإشراف على المشاريع التي يتشوق إلى رؤيتها الجميع، وتعنى بكل ما من شأنه تحقيق النهوض بالوطن والمنتمين إليه، اجتماعياً، واقتصادياً، وأمنياً، وفكرياً، حيث يقول موجهاً خطابه إلى الملك فيصل - رحمه الله - (29):-

أَمَّا الْمَشَارِيعُ الْعِظَامُ فَإِنَّهَا
أَسَدٌ مَخَالِبُهُ أَشَدُّ وَأَطْوَلُ

فيها الدِّفاعُ مُعَزِّزٌ وَمُرَكِّزٌ
 بالكِـمِـيـاءِ وَذَرَّةٍ تَتَحَلَّلُ
 في السَّلْمِ بَيَّضَاءُ العَطَاءِ وَإِنَّهَا
 حَمْرَاءُ عِنْدَ الحَيْفِ لَا تَتَمَهَّلُ
 وَوِزَارَةٌ لثِقَافَةٍ وَلِجَمْعٍ
 وَلِكُتُبَاتٍ تُسْتَفَلُّ فَتُوغِلُ
 وَوِزَارَةٌ لِإِسْكَانٍ مِنْ أَحْلَامِنَا
 فَاصْدَعْ بِهَا وَأَذَى الصَّحَارِي يُخْجَلُ
 وَمَوَاصِلَاتٌ فِي الْجَزِيرَةِ جَمَّةٌ
 تَصِلُ النُّهُوضَ حَقِيقَةً لَا تَغْفُلُ
 تَثْبُ الْمَصْنَاعُ إِثْرَهَا نَفَّاثَةٌ
 الصُّلْبُ فِيهَا وَالْحَدِيدُ يُجَلِّجُلُ
 وَبِهَا السَّوَاعِدُ وَالرُّؤُوسُ تَعَاوَنَتْ
 نَحْلًا لَهُ زَهْرُ الْمُنَى يَتَذَلَّلُ

3- استنهاض عزائم الشباب

الشباب - في كل أمة - هم العدة والعتاد الذي تعتمد عليه في تحقيق آمالها وطموحاتها، وروادها في رحلتها صوب المجد الذي تتطلع إليه في شوق، بفضل عقولهم النيرة، وسواعدهم الصلبة القوية، وإرادتهم التي تنهد أمامها العقبات.

وإيماناً من العلاف بأهمية شباب وطنه في إحداث النقلة التي يشताقها لوطنه، وقدرتهم على تحقيق ذلك متى ما وجدوا العناية والاهتمام، ونجحوا في استثمار أوقاتهم، وأدركوا متطلبات المرحلة التي يجتازونها، وأظهروا العزم والتصميم على الوصول بوطنهم إلى المكانة التي يستحقها ؛ وجدناه يوليهم قدراً كبيراً من اهتمامه، ويخصصهم بكثير من نصحه و توجيهه، ويرسم لهم طريق النجاح الذي إن سلكوه فازوا بالذكر الحسن في أوساط المجتمع، واستحقوا التخليد في ذاكرة الوطن.

ذلك الإيمان من العلاف بالشباب وقدراتهم جعله حريصاً عليهم قبل أن يصلوا إلى هذه المرحلة من العمر. فها هو ذا يبحث الأسر ودور العلم على الاهتمام بالنشء، وتربيتهم على المثل العليا والأخلاق الفاضلة، وإعدادهم إعداداً سليماً، حتى إذا ما كبروا وشبوا عن الطوق كانوا ثماراً صالحة يجني الوطن والمنتمون إليه خيرها(30) :

رَبُّوا الصِّغَارَ عَلَى الشَّجَاعَةِ إِنَّهَا
سِرُّ التَّقْدُمِ مَا بِهِ نَتَدَرَّعُ
وعلى العَدَالَةِ والتَّعَاوُنِ خَالِصاً
لِلْبِرِّ، لَيْسَ رَبّاً يَجُودُ وَيُطْمَعُ
وعلى الصَّرَاحَةِ والتَّسَامُحِ والنَّدَى
وعلى النَّزَاهَةِ واجْتِهَادٍ يَنْفَعُ

وعلى سواها من فضائل جمّة
الدين يجمعها ومنها ينصع
فمكارم الأخلاق زين في الصبا
وسلاح صدق بعدما يتميع⁽³¹⁾
والنصر في دنيا الصراع متوج
لكفاح ممتاز الشّمائل يزعم⁽³²⁾

وفي لفظة أبوية حانية مشحونة بخبراته الكبيرة التي حصلها من رحلته المليئة بالتجارب والكفاح، نجده يحث شباب وطنه على عدم إهدار أوقاتهم -وهم في هذا السن- في اللهو واللعب، ويحفزهم على استثمارها في التحصيل العلمي والجد والاجتهاد في كسب المعارف والخبرات، والتطلع إلى معالي الأمور ؛ لأن ذلك كله سيعود عليهم بالنفع والسعادة عندما يتجاوزون هذه المرحلة من العمر وتدرّكهم الشيخوخة⁽³³⁾ :

لعمّر الذي مدّ الحياة إلى مدى
فليس مزيد بعده يتعقب
هو العمر غفل في الطفولة والصبا
وشيبة ضعف بعدها الروح تغرب⁽³⁴⁾
إذا لم يكن عهد الشباب موكلاً
بكسب العلا، فالعيش موت مجرب

ضَلَّالٌ حَيَاةَ الْمَرْءِ شَوْكاً يَخُوضُهُ
وليس له نَفْعٌ من الْوَرْدِ طَيِّبُ
وما احْتَمَلَ الْإِنْسَانُ أَشَقَى نِضَالِهِ
غَرَامَ عَذَابٍ، بل هُنَالِكَ مَطْلَبُ
فَفَإِيَّةُ أَشْوَاطِ الْكِفَاحِ سَعَادَةٌ
ودون انتعاشِ الْجَهْدِ فَالْجِدُّ خُلْبُ (35)

ويتوجه إليهم حاثاً على مجافاة الكسل والخمول، وشغل
أوقاتهم بما يعود عليهم وعلى الوطن الذي ينتمون إليه بالنفع
والفائدة (36) :

جَافِ التَّكَاثُلَ وَالْمَلَلَ
وَأَشْغِلْ فَرَاغَكَ بِالْعَمَلِ
وَأَشْحِذْ عَزِيمَتَكَ الَّتِي
بِكِفَاحِهَا يَدْنُو الْأَمَلُ

وعندما رأى منهم مالا يسره بادر إلى لفت انتباههم إلى حاجة
وطنهم الماسة لهم، خاصة وقد نالوا قدراً من التعليم يمكنهم من
الإسهام بقوة في دفع عجلة التنمية، وتحقيق الآمال والأحلام
المنوطة بهم، ويحذرهم في الوقت نفسه من التماذي في الخمول
والكسل، وإهدار أوقاتهم وطاقاتهم في اللهو واللعب، بدلاً من
استثمارها الاستثمار الأمثل، الذي يكفل لهم تحقيق ذاتهم والحياة
التي ينشدونها، وفي ذلك يقول (37) :



يَا أَيُّهَا النَّشْءُ خُوضُوا في دَخَائِلِكُمْ
 وَقَلِّبُوهَا فَإِنَّ الْبَحْثَ مِعْوَانُ
 لَا يُسْعِدُ النَّفْسَ أَمْرٌ مِثْلُ خِبَرَتِهَا
 بِذَاتِهَا: إِنَّهَا لِلنُّجَحِ عُنْوَانُ
 أَرَى خُمُولاً وَضَعْفَاءَ فِي عِزَائِمِكُمْ
 أَرَى اضْطِرَاباً وَيَشْكُو الْبُؤْسَ عِرْفَانُ
 ذِكَاؤُكُمْ فِي تَفَاهَاتٍ وَحَذَلَةٌ
 مُضَيِّعٌ لَيْسَ لِلْجَدِّيِّ مِيزَانُ
 بِلَادَكُمْ تَبْتَغِي شَتَّى مِرَافِقِهَا
 وَعَيّاً يُعَانِقُهُ عَزَمٌ وَإِتْقَانُ
 وَلَيْسَ يُقْنِعُهَا فَرْدٌ كَفَاءَتُهُ
 شَهَادَةُ مَالِهَا فِي النَّفْسِ بُرْهَانُ
 لَا تَهْدِرُوا الْوَقْتَ وَارْعُوا حَقَّ حُرْمَتِهِ
 فَعَصْرُكُمْ سُرْعَةُ وَالْبُطْءُ خِذْلَانُ
 لَتَسْأَلَنَّ عَنِ الْأَيَّامِ مُدْبِرَةً
 مَتَى احْتَوَاكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مِيدَانُ
 فَاسْتَمِرُّوا الْجِدَّ وَاسْتَوْحُوا مَوَاهِبَكُمْ
 فَإِنَّ إِعْفَاءَهَا ظُلْمٌ وَخُسْرَانُ
 وَلَتَتَّقُوا الْعُجْبَ وَالتَّوْفِيقُ رَائِدُكُمْ
 مَا لِلْفُرُورِ عَلَى الْأَمَالِ سُلْطَانُ

ولم يقف العلاف صامتاً وهو يرى شباب وطنه قد شرعوا ينفذون غبار الكسل والخمول، ويحققون النجاحات الباهرة في مختلف الميادين والمجالات، وإنما نجده في طليعة المحتفلين بهم والمهنيين لهم بما حققوه من إنجازات ستتجاوزهم آثارها إلى الوطن الذي ينتظرهم في شوق بالغ.

وها هو ذا يقول مهنتاً عدداً من شباب وطنه بمناسبة تخرجهم من إحدى الكليات العلمية التي ابتعثوا إليها في مصر، وبنوه بالجهود التي بذلوها في دراستهم، ويرسم فرحة الوطن بتفوق أبنائه وقرب عودتهم إلى أحضانه العطشى (38):

ظَفَرَتْ بِأَوَّلِ صَيِّدِهَا الْأَشْبَالُ

فَمَشَى وَبَارَكَ فَوْزَهَا الْأَقْبَالُ (39)

طَالَتْ بِهَا الْأَعْوَامُ فِي إِدْرَاكِهِ

تَصِلُ السُّرَى وَسَبِيلُهَا الْأَعْمَالُ

لَا الْجَهْدُ هَدَّهَدَ مِنْ جَسِيمِ كِفَاحِهَا

كَلاَّ وَلَا بَتَرَ الْمَسِيرَ كِلَالُ

وَالْمَرْءُ يَحْظَى بِالْمُنَى مَا جَادَهَا

كَدْحاً، وَيَهْنَأُ بِالرُّؤَى الْمِكْسَالُ

الْيَوْمَ تَخْضُرُ الصَّحَارَى بِهَجَّةٍ

وَيَدْبُ فِي أَشْوَاقِهَا الْإِبْلَالُ

تطفو ربى نَجْدٍ تَحْيَةٌ مُعْجِبٌ
وتقومُ في غُورِ الحِجَازِ جِبَالُ

وبيته فخراً بالإنجازات التي يحققها شباب وطنه في مختلف
الميادين والمجالات، وأكثر ما يتجلى ذلك في احتفاله بالأمير الشاب
سلطان بن سلمان بن عبد العزيز، بعد عودته من الفضاء الذي راده
كأول عربي مسلم يحقق ذلك (40) :

قد شَقَّ أَجَوَازَ الْفَضَاءِ
وسرى وأْمَعَنَ في ارتِقاءِ
نَسْرٍ تَضَاعَفَ هِمَّةُ

(سلطان) موفورِ الثناءِ
قد حَقَّقَ الحُلْمَ الكَبِيرَ

رَ لِكَشْفِ أَجْرَامِ الضِّيَاءِ
أَعْطَى الحضارةَ نَفْحَةً

بل زادَ أسْبَابَ الرِّخَاءِ
أَرْضُ العُرُوبَةِ تَحَنَّنَتْهُ

أَعْمَاقُهَا رَهْنُ الْجَلَاءِ
وَالْبَحْرُ أَيْضاً شَفَّ عَنْ

مَكُونِهِ حَتَّى الهَوَاءِ
وَتَمَحَّصَتْ ... أَرْضَادُهُ

لم يُخَفِ مِنْهَا مَا يَشَاءُ

ويجسد فرحة العرب في كل مكان، والجزيرة العربية بكل
مظاهرها بذلك الإنجاز الذي حققه أحد أبنائها⁽⁴¹⁾:

مَجْدُ الْعُرُوبَةِ بِاسْمٍ
مَنْ بَعْدِ حُزْنٍ وَاسْتِيَاءٍ
عُشْبُ الْجَزِيرَةِ رَاقِصٌ
حَتَّى الصُّقُورُ لَهَا غِنَاءٌ
أَعْظَمُ بِتِلْكَ بَطُولَةً
مِنْهَا الْخُلُودُ لَهُ انْتِشَاءٌ

